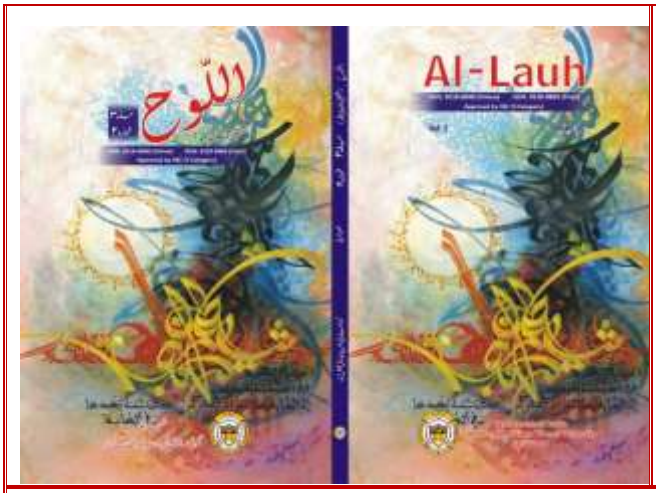

OPEN ACCESS

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Al-Lauh

Bi-Annual, Trilingual (Arabic, English, Urdu) ISSN: (P) 2618-088X. (E) 2618-0898

Project of **Govt. College Women University Faisalabad,**

Madina Town, Faisalabad, Pakistan.

Website: www.allauh.com

Approved by Higher Education Commission Pakistan

Indexing: Euro Pub, Journal Factor, DOAJ, DRJI, Urdu Jaraid, Asian Research Index

TOPIC

المباحث الكلامية فى تفسير البيضاوى

Theological discussions in Al-Baydawi's Interpretation

AUTHOR

1. Dr. Ghulam Abbas Nadeem, Subject Specialist Arabic, Government Higher Secondary School, Ghulam Muhammadabad, Faisalabad

How to Cite: https://allauh.pk/

https://allauh.pk/index.php/allauh/issue/view/4

Vol. 3, No.2 || July–December 2024 ||

Published online: 31-12-2024

المباحث الكلامية فى تفسير البيضاوى

Theological discussions in Al-Baydawi's interpretation

الدكتور غلام عباس نديم[1]

Abstract:
Allama Nasir-ul-Din Albaydhavi is one of the prominent interpreters of the Holy Quran. Tafseer of the Holy Quran by Baydhavi is comprized a average volum in which he collected the relevant material keeping the required benefits of Arabic language in view. He presented his argumentation acording to the principles of Ahl-u-Sunnah. Infact Tafseer by Baydhavi is a brief account of Kashaaf by Zimakhshri except Motazilah traditions. In the same way, he also utilized Tafseer-e-Kabeer and Tafseer Raaghib. Moreover he also included the sayings of Suhaba and Taab'een in his work. The following article is an effort throwing light in the contribution in Theological discussion toward Tafseer of the Holy Quran And those verbal discussions are as follows: Monotheism in essence and Attributes, Certainty in the existence of Allah Almighty, Seeing Allah Almighty, the truth of Prophethood and its position and Is the Quran Created or Uncreated, Predestination and Destiny.

Keywords: Albaydhavi, Abdullah-Bin-Umar, Interpreters of the Holy Quran, Tafseer "Anwar-ul-Tanzeel wa Asrar-ul-taveel", Theological discussions.

ان كتاب الله سبحانه تعالى هو دستور هذه الأمة وكتاب هدايتها ومعجزة هذا الدين الخالدة إلى قيام الساعة . وعلم التفسير يستمد شرفه ومكانته من شرف كتاب الله تعالى عز وجل ذلك الكتاب الذي قال عنه من أنزله :

﴿كتاب أنزلته إليك مبارك ليَدَّبَّرُوا آياته وليَتذكر أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[(1)]

علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ، ومبنى قواعد الشرع وأساسها ، لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها ، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ، وعلم التفسير هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ، وبيان معانيه ، واستخراج احكامه[(2)]

ولا شك فيه أن القرآن الكريم سبيل الهداية ، ومصدر التشريع الأول لهذه الأمة الإسلامية وعلى وفق معناه ، ومعرفة أسراره والعمل بما فيه تتوقف سعادتها الدنيوية والأخروية، ولذا كان التفسير أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرا ، وأشرف العلوم قاطبة موضوعا وغرضا، وله أهمية كبرى أن القرآن الكريم نفسه يدعو إلى الاجتهاد في تدبر آياته وفقه تعاليمه كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿أفلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [(3)]

قبل أن نبدأ هذا الموضوع الأصيل ينبغي لنا أن نعرف هذه الشخصية العظيمة العلمية بالإيجاز، فقسمت عنواني إلى جزئين ، الجزء الأول هو يتعلق بحياة العلامة البيضاوى ومكانته العلمية والجزء الثاني هو اهتمام العلامة البيضاوى بالمباحث الكلامية في تفسيره . والآن نبدأ الكلام بالجزء الأول وهو كمايلي

اسمه ونسبه :

هو عبدالله بن عمر بن محمد بن على-[4]

لقبه:

وقد اشتهر بألقاب متعددة منها : " القاضي " لأنه كان قاضي القضاة على شيراز-[5]

ومنها ناصر الدين لأنه كان من الذين نصروا الدين الإسلامي وشريعته السمحاء بالمواعظ والخطب والتصنيف والتأليف وما إلى ذلك من جهود نبيلة وخدمات جليلة للإسلام وأهله.[6]

نسبته :

عرف بالشيرازي نسبة إلى شيراز" بكسر الشين وهي من أعظم مدن فارس حيث ولد في إحدى مدنها ونشأ فيها وتقلد القضاء فيها-[7]

وكذلك نسبه غير واحد من العلماء إلى بيضاء فسمى " بالبيضاوي " وهي يفتح الباء وهي مدينة مشهورة بفارس وهي قرية من أعمال شيراز –[8]

كنيته :

وأما كنيته البيضاوي فقد اختلف المصادر والمراجع الأصيلة فيها فقال بعضهم هو (أبو الخير)[9] قال آخرون : هو أبو سعيد[10]وقال بعض المترجمين هو أبو محمد-[11]

عائلته :

وقد ذكرت بعض التراجم أن والده : " عمر "كان قاضي القضاة في " شيراز "كما أن جده " محمد كان قاضي القضاة أيضاً كما أن جده الكبير " على البيضاوي "كان من العلماء [12]

مولده ومنشؤه:

ولد القاضي ناصر الدين البيضاوى في " بيضاء " ونشأ مع والده وأسرته التي كانت في بيت علم ودين وفضل ومجد-[13] ثم رحل مع والده إلى " شيراز " عاصمة بلاد فارس التي كانت مجمعا للعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء-[14]

نشأ البيضاوى في بيت العلم وحديقة فنونه بيت المعرفة والحكمة حيث كان أبوه وأجداده وأسرتهم من أهل العلم ومدرسته، وكما ترى كلهم أئمة وقضاة ، ولذا يظهر لي أن البيضاوى ترعرع في أسرة عريقة في العلم ونهل من رياضها منذ صباه فهو قد بدأ التعليم ودرس الفنون العلمية بيد أبيه حتى تفقه وصار من زمرة العلماء والمؤلفين، وهذا ما سنجده في شيوخه، أضعف إلى ذلك البيئة التي ولد البيضاوى فيها الزمان الذي عاش فيه ، فكانت مدينة

البيضاء التي ولد فيها البيضاوى ومدينة شيراز من أشهر مدن العالم الإسلامي آنذاك ومركز الثقافات والنهضة العلمية وملجأ العلماء والأدباء ـ[15]

أخذه العلم :

ترعرع وتربى الإمام البيضاوى على يد والده المربي ، وفي أسرته الدينية ، ثم إنه عاش في بيئة علمية أي بيئة شيراز ونواحيها وقد كانت شيراز مدينة العلم وملجأ العلماء ومعسكرهم آنذاك، بيد أن هناك رحلتان قد أشار إليهما بعض العلماء يقول الشيخ على محى الدين ـ[16]

أن رحلته الأولى هي رحلته إلى شيراز مع والده حينما كان يريد والده قضاء شيراز ولا يعرف تاريخها ولا كم كان عمره آنذاك . أما رحلته الثانية فهي رحلته من شيراز إلى تبريز ، ورغم أن الشيخ على محى الدين جعل هذه الرحلة رحلة علمية إلا أنها فى نظرى لم تكن رحلة علمية أى طلبا للعلم بل كانت ابتداء طلباً لقضاء شيراز من سلطان تبريز بعد صرفه عن قضائها [17]

مذهبه واعتقاده:

أما مذهب الإمام البيضاوى الفقهي فهو شافعي المذهب [18] بل هو من كبار الشافعية ومؤلفيهم البارزين كما سيظهر لنا في مؤلفاته، وهو متعصب لمذهب فكثيرا ما ينتصر للشافعية في تفسيره ويذب عنهم أمام خصومهم . وأما مذهبه الاعتقادي فهو من أهل السنة والجماعة كما أنه من الأشاعرة بصفة خاصة [19]

سيرته وأخلاقه:

عند ما تطالع سيرة على سيرة البيضاوى وأخلاقه يظهر علينا أنه كان في سيرة طيبة وحميدة وأخلاق فاضلة متميزة في شأنها ، فقد كان إماما عالما ونظارا فقيها ، ومتعبدا صالحا ، كما كانت له أيضا قوة فهم وادراك واسع متبحر ، وهذا ما اتفق عليه العلماء الجهابذة ممن عاصروه ومن جاء بعده ، وما علينا الآن إلا أن نسرد طرفا من أقوالهم لكي نرى موقفهم نحوه وها هي:

فقد قال العلامة السيوطي:

> ''القاضى القاضي ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد ابن على الفارسي البيضاوي الأشعري الشافعي المفسر الأصولي، المتكلم المشهور ، صاحب التفسير المعتمد عليه عند علماء الجمهور، كان كما نقل عن صلاح الدين الصفدي المعاصر له إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والأصوليين والعربية والمنطق نظارا صالحا شافعيا---'' [20]

مكانته العلمية :

كان الإمام البيضاوى أحد من العلماء الراسخين في العلم والمفسرين البارزين الذين لعبوا دورا هاما فى مجال التفسير والفقه والعربية والمنطق وكان فحلا من فحول أهل الأصول۔ (21)

قال العلامة السيوطي:

''كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والأصلين والعربية والمنطق نظارا صالحا متعبدا شافعيا ---'' (22)

قال صاحب '' طبقات المفسرين '' :

''كان إماما في الفقه والتفسير والأصول والعربية والمنطق نظارا زاهدا (23)

قال صاحب ''طبقات الشافعية'' :

كان عالما بعلوم كثيرة صالحا خيرا۔ (24)

قال تاج الدين السبكي:

"كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا۔'' (25)

قال حاجي خليفة في سعة ثقافة البيضاوي :

''ولكونه متبحرا، جال في ميدان فرسان الكلام فأظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام ، كشف القناع تارة عن محاسن الإشارة وملح الاستعارة ، وهتك الأستارعن أسرار المعقولات ، لأنه ملک زمام العلوم الدينية والفنون اليقينية على مذاهبأهل السنة والجماعة ، وقد اعترفوا له قاطبة بالفضل المطلق و سلموا له قصبالسبق ---''(26)

مصنفات العلامة البيضاوي:

صنف الإمام البيضاوى الكتب الكثيرة في فنون عديدة مثل علوم القرآن وعلوم العربية وبرزمنها وقد عكف العلماء عليها بالشرح والتعليق وكتابة الحواشي والتحقيق وهي مشهورة بين أوساط العلماء والمسلمين، ومن مؤلفاته:

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل فى التفسير
٢. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة : في الحديث

۳. طوالع الأنوار : فی أصول الدين
۴. الغاية القصوى فی دراية الفتوى : فی الفقه (فی مجلدين)
۵. الإيضاح : في أصول الدين
۶. شرح المنهاج : فی أصول الفقه
۸. منهاج الوصول إلى علم الأصول : فی أصول الفقه
۹. شرح التنبيه : فی الفقه، وهو فی أربعة مجلدات
۱۲. شرح المحصول : فی أصول الفقه
۱۳. شرح مقدمة ابن حاجب : فی الأصول
۱۴. شرح الفصول : في الهيئة والفلك
۱۵. شرح الكافية : فی النحو
۱۶. شرح المطالع / المطالب : فی المنطق وغيرها كثيرة[27]

وفاته :

اختلف العلماء المؤرخون وأصحاب التراجم في تحديد تاريخ وفاته اختلافاً كبيرا : فقال بعضهم : إنه توفی عام ۶۸۵ ھ [28]وقيل : توفي سنة ۶۹۱ ھ [29]

أما الجزء الثاني فهو يتعلق بالمباحث الكلامية في تفسير البيضاوي

وكما ذكرنا سابقا في ترجمة القاضي البيضاوي بأنه من علماء الأشاعرة فهو من الذين يؤولون آيات الصفات الموهمة للتشبيه في أغلب الأحيان وربما يذكر وجه التفويض، لأن الأشاعرة يفضلون التأويل كما يرون التفويض أحيانا وقد أشرنا إلى هذا الموضوع في ترجمة البيضاوی) مذهبة في العقيدة بيد أن البيضاوي بصفته إماما من أهل السنة والجماعة يدافع عن مذهب أهل السنة ، ويفند حجج من سواهم من الفرق المنحرفة والضالة بكل شجاعة، فهو يناقش أقوال المعتزلة والرافضة والقدرية والخوارج والجبرية ثم يبطلها بالبراهين الساطعة والحجج الناصعة وهذا ما سنراه في الأمثلة القادمة من تفسيره إن شاء الله تعالى :

وقبل الشروع في استعراض المباحث الكلامية في تفسيره يجب علينا أن تلقى الضوء على مؤلفاته في العقيدة وعلم الكلام ، فله مؤلفات جليلة في هذا المجال ومن هذه المؤلفات ما يأتي:

(۱) طوالع الأنوار من مطالع الأنظار وهو كتاب قيم في الإلهيات.
(۲) الإيضاح فی أصول الدين-
(۳) مصباح الأرواح فی الكلام-
(۴) منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى
(۵) شرح المطالب فی المنطق-

(۶) الكافية في المنطق – أيضا– [30]

وهذه المؤلفات ليست على سبيل الحصر وإنما هي وقفت عليه ، وهي مؤلفات ذات أهمية في علم الكلام والمنطق ، والقاضي البيضاوي كعالم في هذا الفن يفسر الآية المتعلقة بالعقيدة ويلخص الأقوال إذا كان في الآية وشرحها أدلة وأقوال للفرق الكلامية

قبل أن نذكر المباحث الكلامية في تفسيره نستطيع أن تعرف علم الكلام وفائدته موجزا-

تعريف علم الكلام:

قال الإمام سعد الدين التفتازانى :

'' الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية-'' [31]

وقال عضد الدين إلا يجى:

'' هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج و دفع الشير-'' [32]

فائدة علم الكلام:

(۱) معرفة أصول الدين معرفة علمية قائمة على أساس من الدليل والبرهان.

(۲) القدرة على إثبات قواعد العقائد بالدليل والحجة.

(۳) القدرة على إبطال الشبهات التي تثار حول قواعد العقائد [33]

وبما أن علم الكلام له أهمية كبرى في العقائد والمسائل العقدية، هي عبارة عن مفاهيم كلية تبنى عليها الحياة يجب أن تكون أدلتها يقينية لا ظلية ، الظن يجوز عليه الخطأ ولا يجوز أن تكون العقيدة مبنية على أمر قابل للخطأ وكل من يجوز بناء عقيدته على أمر ظني فهو في تيه واضطراب

ولحاجة العلماء آنذاك للرد على من يعتقد غير الإسلام فقد انتهجوا منهجين في البحث وهما : الإلهيات والطبيعيات ، ففي الإلهيات بحثوا في صفات الله وأفعاله وقدرته وعلمه وإرادته إلى جانب البحث في مسائل القضاء والقدر و البعث والمعاد والنشور وسمى بجليل الكلام .

وأما في الطبيعيات فقد بحثوا في المادة وصفاتها وتحولاتها وتفاعلاتها وفى الزمان والمكان والوجود والعدم والجوهر والعرض ، وسمى هذا البحث بدقيق الكلام

وقد اختار العلامة البيضاوى هذين منهجين في تفسيره في علم الكلام وهكذا يذكر المناهج الأخرى في تفسيره أحيانا ولذا نجد في تفسيره المباحث الكلامية كثيرة وذكرها ما يلي:

(۱)التوحيد بالذات والصفات:

علم التوحيد هو أساس قواعد عقائد الإسلام وهو أشرف العلوم وعلم التوحيد له شرف على غيره من العلوم لكونه متعلقا بأشرف المعلومات وشرف العلم يشرف المعلوم. فلما كان علم التوحيد يفيد معرفة الله على ما يليق به ، ومعرفة رسوله على ما يليق به، وتنزيه الله عما لا يجوز عليه وتبرئة الأنبياء عما لا يليق بهم ، كان أفضل من علم الأحكام

فكان هذا العلم أهم العلوم تحصيلا وأحقها بتبجيلا وتعظيما ، قال الله تعالى:

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واسْتَغْفِرْ لِلنيك والْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[34]

قدم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار والسبب فيه أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع ، لأنه ما لم يعلم وجود الصانع يمتنع الاشتغال بطاعته. والعلم بالله هو اعتقاد وجوده بلا تشبيه له بغيره من الموجودات أي إثبات ذات لا يشبه الذوات ، لأن ذات الله ليس جسماً كثيفاً ولا جسماً لطيفاً أما ذات غيره فهو جسم كثيف أو جسم لطيف.

وقد حث الله تعالى عباده في كثير من آيات القرآن على النظر في ملكوته لمعرفة جبروته فقال:

﴿اوَلَمْ ينظُرُواْ فِىْ مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالارْضِ﴾ [35]

وقال تعالىٰ :

﴿سَنُرِيهم آياتِنَا فِى الْافَاق وَ فِى أنفسهم حَتَّى يَتبَيْنِ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ﴾ [36]

١- صفات الله سبحانه وتعالى :

كان أهل فرقة المعتزلة ينكرون صفات الله سبحانه وتعالى واضحا صريحا وهم يقولون : أن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته شيئ واحد، وذكر الله سبحانه وتعالى صفاته في القرآن الكريم ، قال أهل المعتزلة ليست هذه الصفات (نحو القدرة ، العلم ، السمع، البصر) بل هي أسماء الله سبحانه وتعالى – رد العلامة البيضاوي مذهب المعتزلة في هذه المسئلة بين صفات الله سبحانه وتعالى واضحا بالآيات القرآنية في تفسيره وتذكر بعض الأمثلة من تفسير البيضاوي وهي كما يلي :

وعند تفسير قوله تعالى

﴿ ا لايَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [37]

يذكر العلامة البيضاوی في تفسير هذه الآية عن علم الله سبحانه وتعالى ويقول:

'' ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرتة حكمته وَهُوَ اللَّطِيفَ الْخَبِيرُ) المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن أو ألا يعلم من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذا الحال يستدعى أن يكون ليعلم مفعول ليفيد روى أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء

فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع الله محمد فنبه الله على جهلهم-'' (38)

وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (39)

يذكر العلامة البيضاوی في تفسير هذه الآية عن قدرة الله سبحانه وتعالى ويقول:

'' أي لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية﴿وَهمْ يُسْأَلُونَ﴾ لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد-'' (40)

وعند تفسير قوله تعالى :

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (41)

يذكر العلامة البيضاوی في كلمة والحمد لله) عن صفات الله سبحانه وتعالى كما هو يقول في تفسيره

'' وفيه إشعار بأنه تعالى حي قادر مريد عالم. إذ الحمده يستحقه إلا من كان هذاشأنه-'' (42)

وانظر لتفصيل الأمثلة الأخرى :

(١) سورة المجادلة : ٧ (٢) سورة البقرة : ١٠٩ و (٣) سورة القصص : ٦٨

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ (43)

تكلم العلامة البيضاوی في كلمة ﴿ ونعمة الله ﴾ عن ذاته وصفاته سبحانه وتعالى ، وهو يقول في تفسير هذه الآية الكريمة : أى شيء أتصل بكم من نعمة فهو من الله ﴿ وَمَا﴾ شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول، فإن استقرار النعمة بهم يكون سببا للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه(44)

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ كَانَ فيهما اليه إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ (45)

يتحدث الإمام البيضاوی في تفسير هذه الآية الكريمة عن الذات والصفات الله سبحانه وتعالى ، وهو يقول ﴿وَلَوْ كَانَ فيهما اليه إِلَّا اللهُ ﴾ غير الله وصف بـ﴿ إِلَّا﴾ لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها و دلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا أو معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ، ولا يجوز الرفع على البدل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير

موجب﴿لَفَسَدَتَا﴾ الفسدتا لبطلنا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع ، فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه- (46)

٢- اليقين بوجود الله سبحانه وتعالى :

يأتي العلامة البيضاوی بالآيات التي تتعلق بوجود الله سبحانه وتعالى ونذكر بعض الأمثلة منها:

عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذْ اخَذَ رَ بُّکَ مِن بَنِیْ آدَمَ مِن ظهورهم ذريتهم و وأَشْهدَهُمْ عَلَى أَنفُسِمُ السَّتَ بِرَبّكُمْ قالوا بلى شهدنا﴾ (47)

أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، و ﴿من ظهورهم﴾ بدل ﴿من بنى آدم﴾ بدل البعض وقرأ نافع و أبو عمروا بن عامر و يعقوب '' ذرياتهم'' ﴿ وأَشْهدَهُمْ عَلَى أَنفُسِمُ السَّتَ بِرَبّكُمْ قالوا بلى شهدنا﴾ أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قبل لهم﴿قَالُواْ بَلَى﴾ فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنوا منه بمنزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله : ﴿أن تَقُولُوا يَوْم القيامة﴾ أى كراهة أن تقولوا ﴿ إِنَّا كُنَّا عَن هذا غافلين﴾ لم ننبه عليه بدليل (48)

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِنَّا لَفِیْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إليه مُريب) قالتْ رُسُلُهُمْ في الله شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالارْضِ يدْعُوكُمْ- - -﴾ (49)

قال العلامة البيضاوی في تفسير هذه الآية : ﴿وَإِنَّا لَفِیْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيه ﴾ من الإيمان وقرئ '' تدعونا'' بالادغام- ﴿ مُرِيبٍ﴾ موقع فى الريبة أو ذى موقع في الريبة أو ذى ريبة وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الشي-

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي الله شَكٌّ﴾ أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام فى المشكوک فيه لا في الشك أي إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه، وأشاروا إلى ذلك بقولهم : ﴿فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالارْضِ﴾ وهو صفة أو بدل ، و ﴿شک﴾ مرتفع بالظرف ﴿يدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمان ببعثه إيانا-

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَه تَقْدِيْراً ﴾(50)

قال العلامة البيضاوی وفي تفسير هذه الآية: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَیْءٍ ﴾ أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة: ﴿فَقَدَّرَه تَقْدِيْراً ﴾ فقدره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال، كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك، أو ﴿فَقَدَّرَه ﴾ للبقاء إلى أجل مسمى- وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيئ فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتاً-(51)

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿ واللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُم بَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم من شَيْءٍ سبحانه وتعالى عمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (52)

قال العلامة البيضاوی وفي تفسير هذه الآية:

﴿ الله الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُم بَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم من شيءٍ﴾ أثبت له لوازم الألوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها مؤكداً بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ، ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال: ﴿سُبْحَانه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويجوز أن تكون الكلمة الموصولة صفة والخبر﴿هلْ مِن شُرَكَائِكُم﴾ والرابط ﴿مِن ذٰلِكُم﴾ لأنه بمعنى من أفعاله، و ﴿مِن﴾ الأولى والثانية تفيد أن شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بتأكيد التعجيز الشركاء ، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء-'' (53)

٣- رؤية الله سبحانه وتعالى:

إن مذهب الأشاعرة والماتريدية هم قائلون على رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة ولكن فرقة المعتزلة هم ينكرون رؤية الله سبحانه وتعالى ورد العلامة البيضاوی معتقدات المعتزلة بالآيات القرآنية في تفسيره وأثبت رؤية الله سبحانه وتعالى-

وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ أرني أنظر إليك قَالَ لَن تَرَانِيْ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانه فَسَوْفَ تَرَانِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَ بُّه لِلْجَبَلِ ...﴾ (54)

قال العلامة البيضاوي وفي تفسير هذه الآية:

'' ﴿ قَالَ رَبِّ أرني أنظر إليك﴾ أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك ، وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال ، وخصوصاً ما يقتضي

الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى ﴿لَن تَرَانِيْ﴾ دون لن أرى أولن أريك أولن تنظر إلى ، تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الراني لم يوجد فيه بعد ، و جعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ﴿أرنَا الله جهرة﴾ خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا﴿اجْعَلْ لَنَا إلها﴾ ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ﴿وَلاَ تَتّبِع سَبِيل الْمُفْسِدِين﴾ والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدأ وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية ﴿قَالَ لَن تَرَانِيْ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانة فَسَوْفَ تَرَانِيْ ﴾ استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه ، وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن ، والجبل قيل هو جبل زبير ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبه لِلْجَبَلِ﴾ أظهر له عظمته و تصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رأه-'' (55)

وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (56)

وقال العلامة البيضاوی في تفسير هذه الآية:

'' أي فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أو قدر مضافا مثل رحمة ربهم أو أقرب ربهم-''

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿ وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضرة إلى ربها نَاظِرَةٌ﴾ (57)

فالقاضي البيضاوي بصفته من أهل السنة وإمام في اللغة ومتمكن في معرفة المسائل الخلافية الاعتقادية كشف النقاب عن سنيته ومهارته اللغوية حينما وصل إلى تفسير هذه الآية الكريمة ﴿ وجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إلى ر بها ناظرة﴾ من سورة القيامة والتي تتحدث عن نعم الله تعالى التي أنعمها على عباده الصالحين بكشف الحجاب عنهم ليتمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم الذي ليس بعده نعيم في الآخرة فضلا عن نعم الدنيا ، هذه النعمة التي تنسى أصحابها ما سواها والتي رفضها الغلاة المنحرفة كالمعتزلة والرافضة وغيرهما ونحن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المكرمين بهذه النعمة الجليلة-

فقد قال البيضاوى في تفسير هذه الآية ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضرة ﴾ بهية متهللة ﴿إِلَى ربها ناظرة﴾ تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره وقيل منتظرة إنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف ظاهر وإن المستعمل بمعناه لا يعدى بـ إلى وقول الشاعر :

ويذا نظرت إليک من ملک والبحر دونک زدتني نعما

بمعنى السئوال ، فإن الانتظار لا يستعقب العطاء-[58]

هكذا تراه أن أوجز الكلام وفسر الآية بتفسيرها الصحيح مع رده التفسير الاعتزالي بأدلة لغوية ونحوية-

وانظر لتفصيل الأمثلة : سورة يونس : ٢٦ ، وسورة ق : ٣٥ ، سورة المطففين : ٣٥

حقيقة النبوة ومنصبها:

قال الإمام الرازى عن حقيقة النبوة : إن القائلين بالنبوات فريقان ، أحدهما الذين يقولون ان ظهور المعجزات على يد النبي يدل على صدقه ثم إنا نستدل بقوله على تحقيق الحق وإبطال الباطل وهذا هو الطريق الأول وعليه عامة أرباب الملل والنحل.

والقول الثاني أن نقول إنا نعرف أولا أن الحق والصدق في الاعتقادات ما هو وأن الصواب في الأعمال ما هو ؟ فإذا عرفنا ذلك ثم رأينا إنسانا يدعو الخلق إلى الدين الحق ورأينا أن لقوله أثرا قويا في صرف الخلق من الباطل إلى الحق عرفنا أنه نبي واجب الاتباع وهذا الطريق أقرب إلى العقل والشبهات فيه أقل-

قال الإمام الرازى فى الفصل الثانى :

'' إن القرآن العظيم يدل على أن هذا الطريق هو الطريق الأكمل الأفضل في إثبات النبوة ويقول أيضاً في الفصل الخامس عن إثبات النبوة : إن إثبات النبوة بهذا الطريق مقوى وأكمل من إثباتها بالمعجزات-'' [59]

قال الإمام الغزالي عن حد النبوة وحقيقتها:

'' النبوة وصف فوق الإنسانية و كما أن الحيوان لا يمكن أن يطلب من الإنسان ويقول له إنا لا نعرف حقيقة الإنسان وماهيته، إن لم يذكر لنا فإنا لا تطيع الإنسان وكيف إنه لا يمكن أن يقول ويطلب من الإنسان أن يخبره ماهيته وحقيقته ، فهذا هو الفرق بين عامة الإنسانية وحقيقة النبوة فلذلك طلب فرعون من موسى عليه السلام بذكر ماهية رب العالمين وما رب العالمين؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين وطالبه ثانيا وثالثا فلم يأت بحد ولا رسم ولم يذكر جنسها ولا فصلا في تعريف ما سأله إلا بالربوبية المحضة والتعريف بالخلائق ومكانياتها وزمانياتها والمواليد التي بين المكان والزمان-'' (60)

وقال الإمام الغزالي في مكان آخر : بل الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل تنفخ فيه عين يذرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن ادراك الألوان.

وبالجملة فمن لم يرزق من التصوف شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم (61)

قال الإمام الرازى عن منصب النبوة :

'' إن منصب النبوة والرسالة عبارة من دعوة الخلق من الاشتغال بالخلق إلى خدمة الحق ومن الاقبال على الدنيا إلى الاقبال على الآخرة فهذا هو المقصود الأصلي إلا أن الناس لما كانوا حاضرين في الدنيا ومحتاجين إلى مصالحها وجب أن يكون خوض فنقول خوض الرسول اما أن يكون فيما يتعلق بالدين أو فيما يتعلق بالدنيا-'' (62)

وقال العلامة الغزالي عن خواص النبوة : ولها ثلاث خواص ، أحدها تابعة لقوة التخيل، والثانية تابعة لقوة العقل النظرى والثالثة لقوة العقل العملي-(63)

ذكر العلامة البيضاوى فى تفسيره عن منصب النبوة وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ ر بنا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾(64)

قال العلامة البيضاوى في تفسير هذه الآية :

'' ﴿ ر بنا وابْعَثَ فِيهِمْ﴾ فی الأمة المسلمة ﴿ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ ولم يبعث من ذرياتهما غير محمد ، فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلوة والسلام : " أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمى''﴿يتلو عليهم آياتك﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿ ويعلمهم الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ما تكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام ﴿وَ يُزَكِّيهِمْ﴾ عن الشرک والمعاصی ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ الّذی لا يقهر ولا يغلب على ما يريد ﴿ الحكيم ﴾ المحكم له۔[65]

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿كما أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [66]

قال العلامة البيضاوي في تفسير هذه الآية:

''﴿كما أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُم﴾متصل بما قبله ، عليكم في أمر القبلة ، أو في الآخرة كما أتممتها بإرسال رسول منكم ، أو بما بعده أي كما ذكرتكم القبلة ، أو في الآخرة كما اتممتها بإرسال رسول منكم ، أو بما بعده أي كما ذكرنكم بالإرسال فاذكروني﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يحملكم على ما تصيرون به أزكيا ، قدمه باعتبار القصد وأخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ بالكفر والنظر ، إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر۔'' [67]

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِيْنٍ﴾ [68]

قال العلامة البيضاوي في تفسير هذه الآية:

''﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أی فی العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون﴿ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ أي من جملتهم أميا مثلهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قرأة ولا تعلم﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من خبائث العقائد والأعمال ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والشريعة أو معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍ﴾ من الشرک وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم وإن هي المخففة واللام تدل عليها۔''[69]

إن العلامة البيضاوی قد أثبت حقيقة النبوه في تفسيره بالآيات القرآنية نحو :

﴿يا أيها النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعظة مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِيْ الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [70]

قال العلامة البيضاوي في تفسير هذه الآية :

''أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال و مقابحها المرغبة في المحاسن والزاجة عن المقابح، والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين ، حيث أنزلت عليهم فنجوابها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان ، والتنكير فيها للتعظيم۔[71]

وعند تفسير قوله تعالىٰ :

﴿ وقَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ [72]

قال العلامة البيضاوی في تفسير هذه الآية :

'' سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم ، وفيه دليل على أن النبوة عطانية وأن ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى-'' (73)

هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟

أثبت العلامة البيضاوي القرآن الكريم بالآيات المباركة غير مخلوق ، ورد الفرقة المعتزلة لأنهم يتصورون القرآن الكريم مخلوقا وهم ينكرون صفات الله سبحانه وتعالى أيضاً وبهذا السبب ابتدئ مسئلة خلق القرآن، وقالوا إن الكلام أى القرآن الكريم من مخلوق الله سبحانه وتعالى ليس هو قديم بل هو حادث ، وهم يتصورون الكفر أن يقال القرآن الكريم قديما الآن نذكر الآيات القرآنية التي تدل على أن القرآن غير مخلوق عند تفسير البيضاوي.

عند تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاء عَلَيْهِمْ أَنذرتهم أم لمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(74)

قال العلامة البيضاوي : إن كلمة ﴿ كَفَرُوْا ﴾ تدل على أن القرآن الكريم غير مخلوق كما هو يقول في تفسيره : الكفر هو ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ، ومنه قيل للزارع ولليل كافر ، ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع : إنكار ما علم بالضرورة مجيئ رسول الله به ، وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفراً لأنها تدل على التكذيب فإن من صدق برسول الله لا يجترئ عليها ظاهراً لا أنها كفر في أنفسها.

واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لا ستدعائه سابقة المخبر عنه ، وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم (75) أى استدعاء سابقة المخبر عنه مقتضى التعلق أي تعلق المعنى النفسي بالشيئ المخبر عنه يقتضي السابقة أي سبق المخبر عنه فيكون التعلق حادثاً وحدوث التعلق لا يستلزم حدوث الكلام الذي هو المعنى- (75)

الجبر والاختيار:

ابتدأ مسئلة الجبر والاختيار في أواخر عهد الخلفاء الراشدين وأوائل العصر الأموى قالت الجبرية : ليس للإنسان أن يجد قوة الإرادة في أفعاله أي هو جبل لتكميل أفعاله وقالت القدرية : الإنسان يفعل ويكمل كل فعله من إرادته واختياره ولكنه ليس هو متعلقا بالله من أفعاله فقد كانت القدرية منكرا لتقدير الله سبحانه وتعالى والمعتزلة تقولون بهذه العقيدة . ورد العلامة البيضاوى هذه العقيدة في تفسيره.

وعند تفسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الله على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (76)

قال العلامة البيضاوى في تفسير هذه الآية : الشيئ يختص بالموجود لأنه في الأصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة ، وحينئذ يتناول البارى تعالى كما قال :

﴿ وقُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهِ شَهِيدٌ﴾ (77)

وبمعنى مشيء أخرى ، أى مشيئ وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعلىه قولهه تعالى﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ ، ﴿ اَللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[78] فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيئ ما يصح أن يوجدوهو يعم الواجب والممكن أو ما يصح أى يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضاً ، لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل-

والقدرة : هو التمكن من إيجاد الشيئ ، وقيل صفة تقتضي التمكن ، وقيل قدرة الإنسان ، هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى ، عبارة عن نفي العجز عنه ، والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى ، واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وأن مقدور العبد مقدور الله تعالى ، لأنه شيئ وكل شيئ مقدور الله تعالى[79]

وعند تفسير قولهه تعالىٰ :

﴿ و إِنَّمَا أَمْرُهُ إذا أراد شيئا أن يَقُولُ لَه كُنْ فَيَكُونَ﴾ [80]

قال العلامة البيضاوى في تفسير هذه الآية:

" ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ إنّما شأنه﴿ إذا أراد شيئا أن يَقُولُ لَه كُنْ ﴾ أي تكون ﴿ فَيَكُونَ﴾ فهو يكون أي يحدث ، وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بأمر المطالع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع و توقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعاً لمادة الشهبة ، وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق- " [81]

وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ وإن الله لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [82]

لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب أصغر شيئ كالذرة، وهي النملة الصغيرة. ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء ، والمثقال مفعال عن الثقل ، وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه-[83]

وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [84]

قال العلامة البيضاوى فى تفسير هذه الآية :

''﴿ قَالاَ رَ بَّنَا ظَلَمْنَا انفُسَنَا﴾ أ أضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج من الجنة﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْن﴾ دليل على أن الصغائر معاقب عليها إن لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا : إنما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات-(۶۷)[85]

وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (۶۸)[86]

قال العلامة البيضاوي في تفسير هذه الآية :

'' أي لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره.-''(۶۹)[87]

وانظر لتفصيل الأمثلة الأخرى :

سورة الفاتحة : ۴ ، وسورة بنی إسرائيل : ۲۰ ، وسورة فاطر : ۱۷ ، وسورة الليل:۱۰-۴

وخلاصة القول فيه أن الإمام القاضي ناصر الدين البيضاوي يعتبر من أبرز المفسرين في عصره وكان يعد من أئمة العلماء والأدباء في التفسير والفقه والأصول والكلام العربية ، وكان عارفا باللغة والنحو والصرف والبيان والبديع والمعاني والحكمة والفلسفة وغير ذلك وتفسيره مصدر اساسي بين التفاسير بهذا المنهج وكان يميل الى مذهب أهل السنة والجماعة ويرد مذهب المعتزلة والجبرية والقدرية والرافضة والخوارج والماتريدية والأمام البيضاوي مقل جدا من ذكر الروايات الإسرائيليات وهو يصدر الراوية يقوله من صيغ التمريض : روى أوقيل اشعارا منہ بضعفها ثم إن الإمام البيضاوی إذا عرض للآيات الكونية ، فإنه لا يتركها بدون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة ولعل هذه الظاهرة سارت إليه من طريق التفسير الكبير للرازي الذي استمد منه كما تقدم-

وهكذا عند ما نطالع تفسيره يتضح لنا أن الإمام البيضاوی قديهتم بالمباحث الكلامية بالكثره مثل التوحيد بالذات والصفات ، واليقين بوجود الله سبحانه وتعالى ورؤية الله سبحانه وتعالى وحقيقة النبوة ومنصبها، وهل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ والجبر والقدر وغيرها كثيرة . وفی هذه المباحث يرد العلامة البيضاوي مذهب المعتزلة والماتريدية والرافضة والقدرية والجبرية والخوارج وغير ذلك.

مصادرومراجع

[1] - سورة ص:۲۹

[2] - الزركشی ، بدر الدين ، محمد بن عبدالله، البرهان فی علوم القران ، بتحقيق أبی الفضل إبراهيم ، القاهرة ، بمصر (۱۹۸۰م)، مكتبة دارالتراث ، ط: ۲، ج۱، ص۲۸۲

[3] - سورة محمد:۲۴

[4] - الأسباكي، تاج الدين، أبو نصر، عبد الوهاب، بيروت، (۱۹۱۸م)،دار إحياء الكتاب العربية، ج۸، ص ۱۵۷

[5] - ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، الأديب المعرخ، شدرة الذهب في أخيار من الذهب، بيروت (۱۹۸۸م)، ط: ۱، ج۵، ص ۳۹۲

[6] - الداودي، أحمد بن محمد، واثق سليمان بن صالح الخازي، طبقات المفسرين، المدينة المنورة، (۱۹۹۷م)، مكتبة العلوم والحكم ، ط: ۱، ج ۱،ص ۲۳۰

[7] - ابن كثير، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، الإمام الحافظ، البدايات ونهايتها، بيروت، ۱۹۸۸م)، دار إحياء التراث العربي، ط: ۱، ج۱۳، ص ۳۰۹

[8] - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، واثق أبي الفضل إبراهيم، باقي الواطات في طبقات اللغات والنجاة، بيروت (۱۹۷۹م)، ط: ۲، ج۲، ص ۵۰

[9] - انظر: البيضاوي، ناصر الدين، أبو الخير، عبد الله بن عمر، الغاية القصوي في دارية الفتوي، ج۱، ص۵۸-۵۹

[10] - البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد، هدية العارفين في أسماء الطارين وآثار المصنفين، بيروت، (۱۹۵۱م)، دارالتراث العربی ، ج۱،ص ۴۹۲

[11] - الاصفهاني، شمس الدين، محمود عبد الرحمن، شرح المنهج البيضاوي في علم الأصول، الرياض،(ط-ا) ۱۹۹۹م مكتبة الرشيد ، ص ۹

[12] - الخوانساري، الأصبهاني، الموسوي، أحمد باقر، العلامة الميرزا، بتحقيق أسد الله اسماعيليات، بيروت (۱۹۸۰م)، دارالمعارف ، ط: ۸، ج۵، ص ۱۲۳

[13] - انظر: ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، الأديب المؤرخ، شدرة الذهب في أخيار،ج۵، ص ۳۹۲

[14] - الخوانساري، الأصبهاني، الموسوي، أحمد باقر، العلامة الميرزا، بتحقيق أسد الله اسماعيليات،ج۵، ص ۱۲۳

[15] - المكي اليمني، أبو محمد عبد الله بن أسد علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد دكن، (۱۳۳۸ھ)، دار المعارف النظامية، ط: ۱، ج۴، ص ۲۲۰

[16] - المكي اليمني، أبو محمد عبد الله بن أسد علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد دكن، (۱۳۳۸ھ)، دار المعارف النظامية، ط: ۱، ج۴، ص ۲۲۰

[17] - الحاج خليفة، كشف الظنون، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلات في مطبعها البهية، ۱۹۴۱م،ج۱،ص۱۸۶

[18] - الخوانساري، الأصبهاني، الموسوي، أحمد باقر، العلامة الميرزا، بتحقيق أسد الله اسماعيليات، بيروت (۱۹۸۰م)، دارالمعارف ، ط: ۸، ج۵، ص ۱۲۳

[19] - الخوانساري، الأصبهاني، الموسوي، أحمد باقر، العلامة الميرزا، بتحقيق أسد الله اسماعيليات، بيروت (۱۹۸۰م)، دارالمعارف ، ط: ۸، ج۵، ص ۱۲۳

[20] - الخوانساري، الأصبهاني، الموسوي، أحمد باقر، العلامة الميرزا، بتحقيق أسد الله اسماعيليات،، بيروت (١٩٨٠م)، دارالمعارف ، ط: ٨، ج٥، ص ١٢٣

[21] - انظر: المغراوی ، محمد بن عبدالرحمن ، المفسّرون ، الرياض (١٩٨٥م)، دارطيبة للنشر والتوزيع ، ط: ١، ج٢، ص٩٠

[22] - السيوطی ، جلال الدين عبدالرحمن ، بتحقيق إبی الفضل إبراهيم ، بغية الوعاة فی طبقات اللغويين والنجاة ، بيروت (١٩٧٩م)، ط: ٢، ج٢، ص ٥٠

[23] - الداودی ، أحمد بن محمد ، بتحقيق سليمان بن صالح الخزی ، طبقات المفسرين ، المدينة المنورة ، (١٩٩٧م)، مكتبة العلوم والحكم ، ط: ١، ج ١،ص ٢٣٠

[24] -الدمشقی ، القاضی شهبة ، طبقات الشافعية ، بيروت ، (١٩٧٦م)،دارالكتب العلمية ، ج١،ص٢٨٣

[25] - ا لسبكی، تاج الدين ، إبو نصر ، عبدالوهاب، بيروت ، (١٩١٨م)، دارإحياء الكتب العربية ، ج٨، ص ١٥٧

[26] - انظر : الدمشقی ، القاضی شهبة ، طبقات الشافعية ، بيروت(١٩٧٦م)،دارالكتب العلمية ، ج٢، ص ١٧٣

[27] -ابن العماد الحنبلی ، ابو الفلاح ، الأديب المؤرخ ، شدرات الذهب فی أخيار من ذهب، بيروت (١٩٨٨م)، ط: ١، ج٥، ص ٣٩٢-٣٩٣

[28] - ابن كثير ، أبو الدفاء ، عماد الدين إسماعيل ، الإمام الحافظ، البداية والنهاية، بيروت ، (١٩٨٨م)، دارإحياء التراث العربی ، ط: ١، ج١٣، ص ٣٠٩

[29] - ابن كثير ، أبو الدفاء ، عماد الدين إسماعيل ، الإمام الحافظ، البداية والنهاية ، ج١٣، ص ٣٠٩

[30] - ابن كثير ، أبو الدفاء ، عماد الدين إسماعيل ، الإمام الحافظ، البداية والنهاية، بيروت ، (١٩٨٨م)، دارإحياء التراث العربی، ط: ١، ج١٣، ص ٣٠٩

[31] - التهانوی ، القاضی ، محمد اعلیٰ ، كشاف اصطلاحات الفنون باكستان ، سهيل اكادمی ، لاهور ، ط: ١، ١٤١٢ھ، ج٢، ص ١٧٦

[32] - المصدر السابق نفسه

[33] - نعمانی ، العلامة شبلی ، الكلام بالأردية ، باكستان ، نفيس اكادمی ، لاهور ، ١٩٧٩م، ص ٩-٨

[34] -سورۃ محمد:١٩

[35] -سورۃ الأعراف:١٨٥

[36] -سورۃ الشوریٰ:٥٣

[37] - سورة ملک : ١٤

[38] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، بيروت (١٩٩٦م)، دارالفكر ، ج١، ص ١٩٤- ١٩٨

[39] - سورة الأنبياء : ٢٣

[40] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٤،ص٨٩

[41] - سورة الفاتحة : ١

[42] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج١،ص٥٠-٥١

[43] - سورة النحل: ٥٣

[44] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٣،ص٤٠٣-٤٠٤

[45] - سورة الأنبياء : ٢٢

[46] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج٤،ص٨٨-٨٩

[47] ۔سورة الأعراف : ١٧٢

[48] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج ٣،ص٧١

[49] - سورة إبراهيم : ١٠-٩

[50] - سورة الفرقان : ٢

[51] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٤،ص٢٠٥-٢٠٦

[52] - سورة الروم: ٤٠

[53] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج ٤،ص٣٣٧

[54] ۔سورة الأعراف:١٤٣

[55] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج ٣ ،ص٥٧-٥٨

[56] - سورة المطففين : ١٥

[57] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج٥،ص٤٦٥-٤٦٦

[58] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج٢،ص٥٢٣

[59] - نعمانی ، العلامة شبلی ، الكلام بالأردية ، باكستان ، نفيس اكادمی ، لاہور ، ١٩٧٩م، ص ٩٤-٩٢

[60] - المرجع السابق ، ص ٢٤٠

[61] - نعمانی ، العلامة شبلی ، الكلام بالأردية، ص ١٠٢

[62] - المرجع السابق ، ص٣٣٦

[63] - المرجع السابق ، ص ٣٤٤

[64] ۔سورة البقرة:١٢٩

[65] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١،ص٤٠٢-٤٠٣

[66] - سورة البقرة: ١٥١

[67] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج ١،ص٤٢٨-٤٢٩

[68] - سورة الجمعة: ٢

[69] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج ٥،ص٣٣٧

[70] - سورة يونس : ٥٧

[71] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج۳،ص۲۰۳-۲۰۴

[72] -سورة إبراهم : ۱۱

[73] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج ۳،ص۳۴۱

[74] -سورة البقرة : ۶

[75] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج۱،ص۱۳۷-۱۳۸

[76] -سورة البقرة : ۲۰

[77] -سورة الانعام : ۱۹

[78] -سورة الرعد : ۱۶

[79] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج۱،ص۲۰۹-۲۱۲

[80] -سورة یٰسٓ: ۸۲

[81] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج۴،ص۴۴۳

[82] -سورة النساء : ۴۰

[83] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج۱،ص۱۸۹

[84] -سورة الاعراف : ۲۳

[85] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج ۳،ص۱۳

[86] -سورة البروج : ۱۶

[87] - البيضاوی ، ناصر الدين ، أبو الخير ، عبدالله ابن عمر ، الإمام ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج ۵،ص۴۷۵